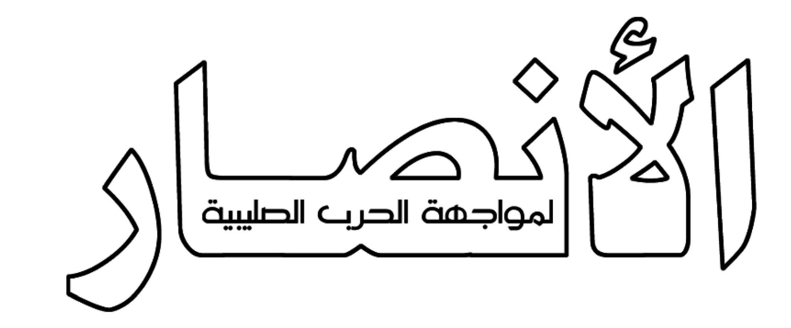




العدد الرابع والعشرون/ فاتح ذي الحجة 1423 هـ / 02 – 01 - 2003 م

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله



البريد الإلكتروني : al-ansar0@mailcity.com


بسم الله الرحمن الرحيم

"الأنصار" في عامها الثاني

مضـى علـى ظهـور مجلة "الأنصار" إلى الساحة الإعلامية عـام كامل، تميز باحتدام الصراع بين طلائع الأمة الإسلامية (المجاهدين) وجحافل الصليبيين، فكانت "الأنصار" تحاول دائما أن تكون قريبة من الحدث، وأن تكون متابعة للـتطورات على الساحة الدولية بمختلف تشكّلاتها الفكرية والسياسية، لتقدم للأمة الإسلامية من خلال ذلك رؤية صـحيحة تسـتعين بها على تفسير الأحداث والتطورات، وتساعدها على امتلاك مقدمات الموقف المطلوب في ظل المرحلة الراهنة.

وقـد حرصـت "الأنصار" – كما وعدت – على أن يكون تقديمها لهذه الرؤية متكاملا، بحيث تجمع بين التأصيل والدراسة والتحليل، إضافة إلى وقفات تربوية تهدف إلى تعميق المعاني في أبعادها النفسية، الأمر الذي جعلها تستجيب لمخـتلف الاهـتمامات الثقافية، وأن تشكل بالنسبة لأكثر القراء محطة للتوجيه والتعبئة، إضافة إلى دورها في تفسير الحدث وتقديم القراءة الإسلامية لأبعاده.

ونحن نأمل من خلال هذا الجهد أن نحدث نقلة جديدة في التفكير الإسلامي، تضاف إلى الجهود الأخرى المبذولة في الاتجاه، ليتطور واقع الأمة من حالة الصحوة إلى حالة النهضة، ولتخرج الحركة الإسلامية من التخندق والانغلاق في الدائـرة المحدودة، إلى العيش في آفاق الأمة على امتداد العالم الإسلامي، ومن الاهتمامات "القديمة" و"التقليدية" إلى التفاعل والتجاوب الإيجابي مع متطلبات المرحلة، بعيدا عن توجهات الحرص على السكون والسلامة، فنحن أمام غزو صليبي شامل، يستدعي من الجميع تحركا جهاديا جادا قبل فوات الأوان.

إن "الأنصار" دعوة إلى التفكير السني الذي يدرس ويحلل ويفكك فلا يرضى من التفسير بالاختزال، وإلى الوجدان الحي واليقظ الذي يتفاعل ويتجاوب فلا يرضى من المعرفة بالتراكم والتضخم المعلوماتي، وإلى العمل الجاد والمدروس الـذي يترجم المعنى الفكري والإحساس الشعوري إلى طاقة مادية تتحرك بجد وحكمة في اتجاه التمكين للأمة وإعادة مجدها العظيم.

هكذا هي " الأنصار"، أو هكذا نريدها أن تكون، منبرا للخطاب الإسلامي المتكامل، ومدادا لسيوف الجهاد التي تقارع الأعداء في ساحات الوغى.

والـذي نعتذر عنه – قبل الختام – أيها القارئ الكريم هو أن أوضاعنا الحرجة قد تأخرنا عنك أحياناً، فنضطر في بعض الحالات إلى التململ عن الموعد بيوم أو يومين، لكننا نراهن على أن قيمة المادة تشفع لنا عند الأحباب.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

التحرير

﴿ وما النصر إلاّ من عند الله ﴾

سيف الدين الأنصاري

لقد كانت الأحداث التي صاحبت معركة "أحد" دليلا عمليا على أن سنة الله في النصر والهزيمة ليست بتلك البساطة التي قد يظنها البعض، والتي غالبا ما تختزل المسألة في استحقاق النصر الإلهي لمجرد الانتماء الإسلامي. فهذا غبش في التصور يجب أن يصحح، وسذاجة في الفكر يجب أن تعالج. لأن الله – سبحانه – إنما خلق الحياة مضبوطة بنظام سنني لتترتب فيه النتائج تبعا لمقدماتها المناسبة، مما يعني أن يكون النصر مرتبطا بتوافر مقتضياته في النفوس المجاهدة وفي البناء التنظيمي وفي التحرك الميداني، فيكون نتيجة معقولة للأخذ بكل المستطاع من الأسباب التي يتيحها الواقع، كما أوضحنا ذلك في المقالات السابقة.

ولكن حتى لا يجنح البعض إلى "التطرف" فيعظم الأسباب أكثر مما تستحق أو يتجاوز بها إطارها المحدد، فإننا نثير في هذا المقال الدرس المستفاد من معركة "حنين". وهي المعركة التي كانت فيها أدوات النصر متوفرة – بشكل جيد – للجماعة المسلمة ورغم ذلك لم يتحقق النصر، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾[التوبة:25]، وكادت أن تُختتم المعركة بالهزيمة لولا أن الله تدخل لإنقاذ الموقف، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[التوبة:26]. مما يعني خطأَ وخطورةَ تلك النظرة التي تتعلق قلبيا بعالم الأسباب أو تتعامل معها وكأنها فاعلة بذاتها في تحديد نتيجة المعركة.

فمع الإقرار بأهمية الأدوات والآليات ومع التشديد على ضرورة وجودها لبلوغ النصر فإن القرآن لا يدع المسلمين يفهمون أن هناك سبباً ينشئ النتيجة بذاته، أبداً، إنما يرد الأمر كله إلى الله، ليستقر في الأعماق الفكرية والنفسية للمسلم أن الله هو الناصر وليس الأدوات والآليات، مهما كانت كثيرة ومتوافرة، فالله هو الذي أذن للأسباب التي أُعملت أن تؤثر وأذن للنتائج أن تترتب عليها، والله هو الذي خذل الكافرين وأضعف تأثير أعمالهم وأفشل تدبيرهم، ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[الأنفال:18]، والله هو الذي أيّد المسلمين وساعدهم على بلوغ الهدف، إما في صورة تسديد للعمل وتوجيهه نحو استجماع عناصر الفعالية، وإما في صورة إرسال الجند الأخفياء الذين يدخلون الحرب إلى جانب المسلمين، وإما بهما معاً، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:9].

بل – وحرصا على الصفاء العقدي – ينبه اللهُ على أن هذا المدد الذي أيدهم به ما هو إلاّ وسيلة للاستبشار والاطمئنان إلى وعده، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾[آل عمران:126]، أما النصر فإنما يرجع إلى إرادته، وإلى قدره وحده، وليس إلى شيء سواه، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[آل عمران:126]. كل ذلك لكي لا يظن المسلم أن الأسباب فاعلة بذاتها، فيتعلق قلبه بعالم الأسباب عوض التعلق بالله، ويَضمُر

استشـــعاره لطلاقـــة القدرة الربانية وفاعليتها الكاملة في الكون، مما يؤثر على حقيقة تدينه من جهة، ويفقده النظرة الصحيحة للقوانين التي تحكم حركة الحياة من جهة أخرى.

• عقيدة تعلمنا أن لا نطلب النصر إلاّ من الله، لأنها تزرع فينا روح التحرر من ربقة الانهزام التي تعلق قلوبنا بالخلق، ومن ثم تدفعنا إلى الاستعلاء عن الارتهان لهذه القوة أو تلك، لأن حالة الارتهان ترسخ واقع الضعف وتجعلنا ألعوبة في يد الآخرين.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، عقيدة تعلمنا أن لا نطلب النصـــر إلاّ مـــن الله، لأنها تزرع فينا روح التحرر من ربقة الانهـــزام التي تعلق قلوبنا بالخلق، ومن ثم تدفعنا إلى الاستعلاء عن الارتهان لهذه القوة أو تلك، لأن حالة الارتهان ترسخ واقع الضـــعف وتجعلـــنا ألعـــوبة في يد الآخرين، في حين أننا أمة أخرجت بعناية ربانية لتقود لا لتكون تابعا ذليلا يدور في فلك الغير، مهما كان هذا الغير، فما بالك إذا كان عدوا. إذن فإن يكن من أحد يجب أن نتوجه إليه لاستجلاب النصر فهو الله، قـــال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾[آل عمران:160].

كما أن عقيدة ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، تحررنا من ربقـــة النظرة السطحية للحياة، النظرة التي تتعامل مع القوانين الكونـــية وكأنهـــا مســـتقلة عن إرادة الله، أو تصورها وكأنها فاعلة بذاتها لا بإذن الله، فيقع القلب في حبائل الأدوات المحـــدودة، ويحال بينه وبين الفاعل الحقيقي وهو الله. فرغم أن الكثرة – مثلا – مؤثرة في النتيجة التي يمكن أن تسفر عنها المعركة، لأن الجانب العددي له حضوره الكبير في مفهوم القوة، إلاّ أنه من الخطأ الفادح بـــل مـــن الشـــرك بالله أن نصل إلى الحد الذي نركن معه إلى الكثرة أو نتصور وكأنها فاعلة بذاتها في تحديد النتيجة.

يجـــب أن يستيقن المسلمون أنهم – مهما كانت عدتهم – إنما ينصرون بنصر الله لهم، لأنهم مهما اتخذوا من الأسباب فإنها تبقى – في حقيقة الأمر – قاصرة عن الإحاطة بكل العوامل المؤثرة في تحقق النتيجة، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾[الفتح:21]، ومن ثم لابد أن يرد الأمر كله إلى مشيئة الله، ولابد أن يـــتعلق القلـــب بإرادة الله، فهي التي عنها تصدر الأشياء والأحداث، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال:17].

هـــذه هي الحقيقة التي حرص القرآن الكريم على تقريرها في التصور الإسلامي، وعلى ترسيخها في أعماق الـــنفس المســـلمة، واعتنى كثيرا ببقائها نقية صافية من كل شائبة.. لتبقى الصلة بين العبد والرب مباشرة، بلا

حواجز ولا عوائق ولا وسائط، وإنما ترد الأمور كلها إلى إرادة الله، بحيث تنحى من قاعدة التصور والإحساس فاعلية الأسباب بذاتها، ويرد الأمر كله إلى مشيئة الله، ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[هود:123].

ومـــن شأن هذه الحقيقة حين تستقر في التصور وفي النفوس أن تسكب في القلب الطمأنينة، وأن تولد عند المسلم الاستقرار النفسي، بحيث يسكن (من السكينة) اتجاه الفواعل والأسباب الظاهرة لأنه يستقين أنها لا تؤثر إلاّ بـــإذن الله، ومن تم يتعامل معها على أنها أدوات وآليات توظف وليس آلهة تعبد، وأن النصر إنما يكون من الله.

لكن، من المهم جدا أن نعلم كذلك أن الإيمان بهذه الحقيقة لا يعني – بأي حال من الأحوال – الدعوة إلى ترك الأسباب، ولا يعفي المسلمين – بأي شكل من الأشكال – من اتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق النصر، أولاً لأن الأخذ بالأسباب تكليف رباني، به نحقق مفهوم العبادة لله، وبه نجسد معنى التدين في ميدان الحركة، ومنها حـــركتنا نحو النصر. وثانياً لأن هذه الأسباب تعد بمثابة المقدمات الضرورية لاستحقاق نزول النصر من الله، وكأنهـــا "شروط" في وجوده. مما يعني أن انتظار النصر الإلهي مع إهمال الأخذ بالمتاح منها لا يعدو أن يكون تواكلا صوفيا لا يستحق أهله إلاّ الهزيمة!!

إن التصـــور الإسلامي يتسم بالتوازن الكامل بين تقرير الفاعلية المطلقـــة لقـــدر الله وتحقـــق هذا القدر في الحياة من خلال الفعل الإنســـاني.. نعـــم سنة الله تجري بترتيب النتائج على مقدماتها المناســـبة، وهذا ما ندعو – باستمرار – إلى استحضاره وملاحظته وإعماله، ولكن الأسباب ليست هي التي "تنشئ" النتائج. أو بعبارة أخرى ليست فاعلة بذاتها، فالفاعل المؤثر هو الله، هو الذي يرتب النـــتائج على الأسباب بإرادته.. ومن تم فإن المطلوب من الإنسان هـــو أن يـــؤدي واجـــبه، بحيث يبذل جهده في الأخذ بالأسباب استجابة للأمر الشرعي، فبقدْر ما يوفي بذلك يرتب الله النتائج على مقـــدماتها.. لأنـــه هو وحده الذي يأذن لها بالوجود حين يشاء، وكيفما يشاء.. هكذا يتحقق التوازن بين تصور المسلم وعمله، فهو يعمل ويبذل جهده، ولكنه يتعلق في نتيجة عمله بمشيئة الله..

> • إن المطلوب من الإنسان هو أن يؤدي واجبه، بحيث يبذل جهده في الأخذ بالأسباب استجابة للأمر الشرعي، فبقدْر ما يوفي بذلك يرتب الله النتائج على مقدماتها.. لأنه هو وحده الذي يأذن لها بالوجود حين يشاء، وكيفما يشاء.. هكذا يتحقق التوازن بين تصور المسلم وعمله.

لقد جاءت "حنين" لتقرر فاعلية الإرادة الربانية في حركة الخلق، وأنه لا حتمية بين النتائج والمقدمات، وإنما مرد الأمر كله إلى الله، وبـــذلك تكون قد عملت على إرجاع التوازن إلى بعض النفوس التي صدمتها الهزيمة في "أحد" فغلّبت – على

إثـــر ذلك – منطق الاطمئنان إلى الأسباب، حيث تسرب إليها العجب بالكثرة، أي أن "حنين" جاءت لتعيد الحق إلى نصابه، بحيث ترتفع بالتصور الإسلامي عن المادية التي تغفل إرادة الله، كما ارتفعت به "أحد" من قبل عن التواكلية التي تهمل الأسباب.. إنه التوازن العجيب الذي تنفرد به الرؤية الإيمانية للحياة !!

ويـــتولد عن هذا التوازن في الرؤية توازن في الحركة، بحيث تكـــون المـــناهج والـــبرامج الحركية مستحضرة للأمرين معاً، مستحضرة لوجوب الأخذ بكل المتاح من الأسباب ومستحضرة كذلك لوجوب التعلق الكامل بالمسبِّب الحقيقي وهو الله، أي أنه مـــنهج يجمع بين الإيمان بفاعلية الله المطلقة والإيمان بأهمية الأخذ بالأسباب..

• فـإن أهـم الملامـح الـبارزة في هـذا المـنهج هـي أنـه يحمـل مـا يمكـــن أن نطلـــق علـيه "روح المغامرة المدروسة"!! فالاطمئنان إلى كـون النصـر بـيد الله يغـرس عند المسلم نفسية الإقدام.

وكأثر لهذه التوازن فإن أهم الملامح البارزة في هذا المنهج هي أنــه يحمـــل ما يمكن أن نطلق عليه "روح المغامرة المدروسة"!! فالاطمئـــنان إلى كـــون النصر بيد الله يغرس عند المسلم نفسية الإقـــدام، أو علـــى حـــد التعـــبير النـــبوي في أفضل الأعمال: (رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَـــيْءٍ)[البخاري]، لأن هذه النفسية ترفع عن المسلم أغلال التهيب الذي يكبل الإرادة ويضيق مجال التحرك ويقلل مساحات الفعل. لكن مع هذا فإن الإيمان بأهمية الأسباب يلح عليه باستفراغ الوسع في اكتساب وتفعيل كل الأدوات والإمكانيات المتاحة، لأنها العناصر المشكلة لمقومات القدرة على الفعل.. ومن ثم ينشأ التوازن بين العقيدة والحركة.

علـــى هـــذا التوازن تربى الجيل الأول من المسلمين، عرفوا أن الله - وحده - هو الفاعل في تحقق النصر، لكنهم عرفوا – في الوقت نفسه – أنهم مأمورون من قِبل الله باتخاذ الوسائل وبذل الجهد والوفاء بالتكاليف.. فاســـتيقنوا الحقيقة، وأطاعوا الأمر، في توازن شعوري وحركي عجيب! يصعب جدا أن يدركه الناس إلاّ إذا ساروا على الطريق.. طريق التوازن.. التوازن في الرؤية، والتوازن في الشعور، والتوازن في الحركة.

وقـــد يسهل – ولا شك – على الناس أن يدّعوا لأنفسهم هذا التوازن، ولكنه في الحقيقة صعب التحقيق، نعم صعب التحقيق، ويكفي أن نعلم أنه تطلب من الجيل الأول "المغامرة" على خوض "بدر" التي كانت فيها كفة موازين القوى مائلة بشكل ملحوظ لصالح العدو، والدرسَ القاسي في "أحد"، ثم "حنين" التوازن.

باختصار، إنه نتيجة لعملية تربوية متكاملة، تجمع بين التوجيه النظري والممارسة الميدانية، ولا تهمل واحدة علـــى حساب أخرى، وإنما تعمل بهما معاً، في خط سير حركي يأخذ الإسلام كله، ولا يؤمن ببعض الكتاب دون بعض، يصلي ويصوم ويدعو ويجاهد... إلخ، فإنما يدرك التوازن من خلال السير وفق منهج الله. ◆

أمريكا ومبادئ الحرب

بين النظرية والتطبيق

أبو عبيد القرشي

لقد حازت ظاهرة الحرب دوما على اهتمام الملإ على مر العصور، ولذلك انكب الساسة وقادة الجيوش والمؤرخون منذ القدم لمحاولة إيجاد ضوابط مشتركة تجمع بين كل الحروب. أثمرت هذه الجهود في البداية مجلدات ضخمة زادت من تعقيد الظاهرة عوض تبسيطها، ثم جاء مَنْ شرح هذه المجلدات ونجح في استخراج العبر والدروس الكامنة فيها، إلى أن برز مَن اختصر تلك الفوائد المحصلة وحوَّلها إلى جمل قصيرة يفهمها كل أفراد الجيش على اختلاف مداركهم.. هذه المختصرات هي التي سميت لاحقا بمبادئ الحرب.

شاع هذا المصطلح مع بدايات العصر الصناعي (في حدود القرن 18 الميلادي) حين أدلى كلاوزفيتز بدلوه في بيان مدلول هذا المصطلح واسقاطاته التاريخية. ومنذ ذلك الحين وكل الجيوش المعتبرة تهتم اهتماما بالغا بأن يكون لها مبادئها الخاصة للحرب، وتقوم بذلك بناء على تجربتها التاريخية وأساليبها القتالية؛ لذلك توجد فروق معتبرة بين مبادئ كل جيش.

استفادت الجيوش من مبادئ الحرب – علاوة على تعميم الاستيعاب على أفرادها – بأن وفرت لها هذه الأخيرة أرضية فكرية لوضع الخطط والاستراتيجيات. فالحرب على المستوى الاستراتيجي هي عملية ذهنية أساسا، وتطوير استراتيجية حربية هو نشاط إبداعي يتطلب إطارا فكريا. وهنا تأتي مبادئ الحرب لتوفر هذه البنية دون أن تَحُدَّ من الابتكار الذي قد يستلزم أحيانا حذف مبدإ معين وأحيانا إضافة آخر.

أسوة بغيره أدخل الجيش الأمريكي مبادئ الحرب في أدبياته سنة 1921 حين أصدرت قيادة الجيش كتيبا حول قانون التداريب (U.S. Army training regulations) يتضمن بعض هذه المبادئ، لكن اختفى بعد ذلك ذكرها إلى أن عادت مجددا سنة 1939 مع اشتعال شرارة الحرب العالمية الثانية، وتم إقحامها في قوانين الخـــدمة الميدانية (Field Service Regulations) ومنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا وهي مثبتة في الأدبيات العسكرية الأمريكية[1].

وبما أن أمريكا هي التي تقود حملة صليبية مسعورة على بلاد الإسلام، فمطلوب أن يتعرف المسلمون على مقاربتها للمبادئ الحربية. وما دامت القوات الأمريكية تذوق الأمرين في أفغانستان، فإنه من الجدير بنا كذلك معرفة هل نجح الجيش الأمريكي في تطبيق تلك المبادئ المسطرة لديه، أم أن الأمر غير ذلك.

1 - *Joint Chiefs of Staff, Joint Publication 3-0: Doctrine for Joint Operations*, Washington, DC: U.S. Government Printing Office, 1993.

وللعلم فإن مبادئ الحرب الأمريكية على الصعيد الاستراتيجي جاءت كالتالي: **الهدف، المبادرة، وحدة الجهود، التركيز، الاقتصاد في المجهود، التدبير، الوضوح، المفاجأة، الأمن**[1]. ولا يلزم أن تأتي هذه المبادئ على هذا الترتيب بالذات سوى فيما يخص الهدف، الذي يأتي على رأس القائمة لأن كل مجريات الحرب تتفرع منه. لكن المبادئ الأخرى ينظر إليها كوحدة كاملة بعضها مرتبط ببعض بشكل وثيق.

مبادئ الحرب الأمريكية وإسقاطاتها الحالية[2]

1 – الهدف

• وللعلم فإن مبادئ الحرب الأمريكية على الصعيد الاستراتيجي جاءت كالتالي: الهدف، المبادرة، وحدة الجهود، التركيز، الاقتصاد في المجهود، التدبير، الوضوح، المفاجأة، الأمن.

يقصد به تعيين وتتبع أهداف واقعية وواضحة المعالم، بحيث يشكل الوصول إليها إنجازا مهما للمصلحة القومية. وهو أهم مبدإ في الحرب، وغالبا ما يدور مداره حول تدمير العدو باستعمال كافة الوسائل المتاحة، والقضاء على الإرادة القتالية للعدو، واستئصال الخطر الذي يصدر من جهته.

وإذا كان القادة الميدانيون عادة ما يتوفرون على هامش كبير للمناورة ما داموا في خدمة الأهداف المسطرة، إلا أن الخروج – ولو لهنيهة – على تلك الأهداف يعتبر خطأً أحمر يكلف تَخَطِّيه غاليا.

ولعل ما حصل في الحرب العالمية الثانية خير دليل على خطورة هذا الأمر، فقد كان الطيران الألماني متفوقا بشكل كاسح على غريمه البريطاني، وكان الألمان يقتربون من تحقيق هدفهم القاضي بإفناء القدرات الجوية لبريطانيا تمهيدا لغزوها برا. لكن ما أن قصف البريطانيون مدينة ألمانية حتى انفعل هتلر بشدة وطالب قادة سلاح الجو بالتركيز الكلي على قصف العاصمة البريطانية كإجراء انتقامي. قد يبدو هذا الرد جيدا لكنه ليس كذلك. إذ نجحت القوات الجوية البريطانية إثر هذا التصرف المتهور في كسب وقت ثمين لإعادة بناء القدرات، واستقطاب العدة والعتاد من الحلفاء والمستعمرات في عجالة. لذلك سرعان ما عادت هذه القوات لمحاربة الألمان النِّد للنِّدِّ في الجو، فكسبت الجولة واستطاعت تأمين بريطانيا كلها كقاعدة متقدمة للحلفاء على الجبهة الغربية.

---

1 - US Army, *Operations*, Field Manual (FM) 3-0 (Washington: GPO, 14 June 2001)

2 – سيتم الاقتصار على بعضها خشية الإطالة.

فيما يخص الحملة الصليبية الأمريكية يبدو جليا أن سيد المبادئ هذا لم يحترم، فالهدف من وراء الحرب لا بد أن يكون واضحا وواقعيا وهما صفتان بعيدتان عن التحركات الأمريكية. فالمخططون الأمريكيون افترضوا سهولة المهمة أمامهم في أفغانستان بسبب عمالة كل الأنظمة "الإسلامية"، التي ستشد الطوق على المجاهدين من كل جانب، ثم نظروا إلى الفرق الضخم بين قدرات الجانبين فازدادوا اطمئنانا، مما دفع بوش الأبله للتصريح حينها أن هدف[1] بلاده من الحرب هو القبض على الشيخ أسامة والملا عمر – حفظهما الله –.

حينئذ انفتحت شهيتهم لتحقيق أهداف أكبر من التي خططوا لها في البداية، والتي لم يحققوها أصلا والحمد لله، فبدأوا يعدون العدة للقضاء على كل الحركات المجاهدة في العالم أجمع، بل واستئصال كل أشكال العمل الإسلامي ثم الدين الإسلامي ككل، وهي أهداف غير واقعية إطلاقا.. بل وزادوا غزو العراق لأحلامهم في مسعى لتجديد الهيبة الأمريكية المفقودة، بعد أن شاهد العالم أجمع عجزها وتمرغها في الوحل الأفغاني.

هذا ويجب ألا ننسى بأن أمريكا طيلة هذا الوقت لا تكتفي فقط بالوسائل العسكرية بل تحشد الوسائل السياسية والديبلوماسية والاقتصادية والنفسية /الإعلامية في كل حالة من هذه الحالات[2]، وهو ما يزيد من تعقيد الموقف الأمريكي، حيث تتشتت اهتمامات كل الأجهزة المعنية في كل صوب مما يفقدها التركيز، فيصير الوضوح والواقعية أكثر بعدا عن المنال، وهو ما ينذر بشر هزيمة لأمريكا إن شاء الله.

في المقابل نجد أن المجاهدين احتفظوا بأهدافهم الرئيسية منذ أول وهلة؛ وهي إخراج أمريكا من جزيرة العرب وسحب دعمها للكيان الصهيوني. لا شك أنها أهداف من الطراز الثقيل، لكنها قابلة للتطبيق في حالة تكبيد أمريكا خسائر بشرية واقتصادية ضخمة تحط مركزها من قوة عظمى إلى قوة إقليمية (في أحسن الأحوال) كما كان الشأن مع روسيا/ الاتحاد السوفييتي السابق.

• في المقابل نجد أن المجاهدين احتفظوا بأهدافهم الرئيسية منذ أول وهلة؛ وهي إخراج أمريكا من جزيرة العرب وسحب دعمها للكيان الصهيوني. لا شك أنها أهداف من الطراز الثقيل، لكنها قابلة للتطبيق.

1 - وهو هدف قلل من شأنه المسؤولون الأمريكيون حينما أدركوا صعوبته بعد فوات الأوان.

2 - *National Military Strategy of the United States of America*, Washington, DC: U.S. Government Printing Office, 1995.

2 – المبادرة

ويسميها البعض كذلك الهجوم. لكن هذه التسمية قاصرة إذ أن الاستراتيجية تهتم في الغالب بتحقيق أهداف بعيدة الأمد، ولذلك فإن الهجوم ليس دائما هو الحل الوحيد في كل الحالات، بل قد يكون الدفاع هو الأمثل، وقد يكون هناك مزج بين الدفاع والهجوم حسب اقتضاء المصلحة. لكن المهم هو أن المنتصر هو الذي تكون المبادرة دوما بيده؛ فهو من يدفع الآخرين لردود الأفعال وليس العكس. ورد الفعل غالبا ما يَحُدُّ من البدائل المتاحة، ويضيق هامش المناورة إلى أقصى حد، وهو ما يجب الحرص على تفاديه بكل قوة.

إن حيازة المبادرة والمحافظة عليها ثم استغلالها جيدا هو ما يجعل المنتصر يضع الأجندة الاستراتيجية، ويبني البيئة الاستراتيجية المواتية له والمربكة لعدوه، فيضطر هذا الأخير دوما إلى تغيير خططه للتكيف مع الوضع الجديد، مما يفقده الفرصة في استعادة المبادرة.

والمثال على تطبيق هذا المبدأ هو ما حصل في حرب الفالكلند بين الأرجنتين وبريطانيا سنة 1982. فقد حاول الأرجنتينيون – بعد أن سيطروا على جزر الفالكلند في مدة وجيزة – أن يمنعوا وصول القوات البريطانية إلى مسرح الحرب بأي ثمن، واستعملوا في سبيل ذلك قواتهم الجوية بكل جدارة. لكن البحرية البريطانية استطاعت الوصول إلى تلك الجزر، وما أن وطأ الكوماندوز البريطانيون أرض إحدى الجزر حتى انهارت معنويات الجيش الأرجنتيني، بعدما أحس بإفلات المبادرة من بين يديه وانتقالها إلى عدوه، الذي حافظ على هذا العنصر واستثمره على أكمل وجه.

من الواضح أن المبادرة في الحالة الراهنة تكمن منذ غزوتي نيويورك وواشنطن في يد المجاهدين؛ فقد استطاعوا فرض أجندتهم الاستراتيجية على أمريكا ولا سيما في مسرح الحرب في أفغانستان، حيث تواجه القوات الأمريكية حرب عصابات شعواء تزداد استعارا يوما بعد آخر. حاول القادة الأمريكيون الخروج من هذا الوضع عبر التدخل في بقاع أخرى (الفلبين/ جيورجيا..)، لكن هذا الفعل (أو بالأحرى رد الفعل) لم يرجع أبدا المبادرة إلى أيديهم. ولذلك فإنهم يحاولون استرجاع المبادرة

> • من الواضح أن المبادرة في الحالة الراهنة تكمن منذ غزوتي نيويورك وواشنطن في يد المجاهدين؛ فقد استطاعوا فرض أجندتهم الاستراتيجية على أمريكا ولا سيما في مسرح الحرب في أفغانستان، حيث تواجه القوات الأمريكية حرب عصابات شعواء تزداد استعارا يوما بعد آخر.

لكن مع عدو آخر غير المجاهدين (العراق) بهدف خلق وضع جديد في المنطقة. لكن هذا التحرك مرتقب منذ وقت طويل ولا جديد فيه، والأيام المقبلة ستخبرنا عن جدواه في الميزان الاستراتيجي.

3 – وحدة الجهود

وتسمى كذلك عند البعض بوحدة القيادة. ونظرا لأن المجهود الحربي صار يجمع الوسائل السياسية والديبلوماسية والاقتصادية والنفسية /الإعلامية – وهي وسائل غير عسكرية – كانت تسمية "وحدة الجهود" هي الأصح.

ومن الأمثلة التاريخية على ضرورة هذا المبدإ ما حصل لليابان في الحرب العالمية الثانية، حين فك القادة اليابانيون الارتباط بين الجيش والبحرية ليحارب كل منهما دون مساندة الآخر. كان الدور المنوط بالجيش هو الحرب على جبهة الصين، في حين تكلفت البحرية بمسرح الحرب في المحيط الهادي. لكن ما أن انتصرت القوات الأمريكية على جبهة المحيط الهادي واقتربت من اليابان، حتى اتضحت فداحة غياب وحدة الجهود عند اليابانيين، فقد غزا الأمريكيون عقر دار اليابان بينما كانت قطاعات كبيرة من الجيش الياباني عاطلة دون مهام في الصين، رغم توفرها على قدرات معتبرة لصد الغزاة.

وخلال الحملة الصليبية الحالية يبدو أن أمريكا كذلك تواجه صعوبة في الوفاء بهذا المبدأ، خاصة فيما يخص بالتحالف الذي تحاول أن تبنيه. فقد تبين بجلاء أن أهداف المساهمين في الحملة الصليبية متباينة، فمثلا نجد أن الحكام العرب العملاء يهمهم الاستمرار في الحكم، ونيل الفتات الصليبي دون التعرض لزعزعة داخلية، بينما يهتم ساسة أمريكا بتحقيق مكاسب إعلامية ترفع من أسهمهم لدى شعوبهم. والنموذج لمثل هذه الصعوبات ما حصل من غدر بالمجاهد الحارثي. فقد أعلنت الحكومة الأمريكية الخبر وسط هالة إعلامية، في حين كان النظام اليمني العميل يفضل أن تتم الخيانة في السر، وهو ما يفسر الارتباك والتلعثم الذي أصاب مواقف مسؤوليه.. وقس على هذا مئات الحوادث والمشاكل التي تحدث هنا وهناك.

> • قد تبين بجلاء أن أهداف المساهمين في الحملة الصليبية متباينة، فمثلا نجد أن الحكام العرب العملاء يهمهم الاستمرار في الحكم، ونيل الفتات الصليبي دون التعرض لزعزعة داخلية، بينما يهتم ساسة أمريكا بتحقيق مكاسب إعلامية ترفع من أسهمهم لدى شعوبهم.

أما ميدانيا في أفغانستان فحدث ولا حرج، فالخلافات تعصف دوما بين الأمريكين والوحدات الصليبية الأخرى حول قضايا كثيرة، وقد قدح العديد من القادة الصليبين الميدانيين – بمن فيهم

الإنجليز – في طريقة الكوي بوي الأمريكية التي لا تفيد شيئا في الواقع[1].

كل هذا يبين هواجس تطبيق مبدأ وحدة الجهود بالنسبة لأمريكا سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وما يتبع ذلك من تنسيق أعمال مئات وآلاف المصالح المتباينة، والتي قد لا يربط بينها الشيء الكثير.

4 – التركيز

ويقصد به تركيز عناصر القوة في المكان والوقت المناسبين بشكل يخدم الهدف القومي من الحرب إلى أبعد حد. وإذا كان هذا الأمر بديهيا في الحالة العسكرية حيث لا يفيد التفوق العددي لجيش ما، إذا لم يتمكن هذا الأخير من حشد قوات كافية في الزمان والمكان الذي اختاره العدو للهجوم.

والمثال التاريخي لضرورة هذا المبدأ ما حدث في الحرب العالمية الثانية، حين استطاع السوفييت إيقاف الحملة الألمانية الكاسحة بإشغالها عبر مناورات خداعية على أبواب موسكو، بينما قامت القوات السوفييتية بهجوم معاكس على محور ستالينغراد لحصار القوات الألمانية هناك. لم يركز الألمان قوتهم بشكل فعال للخروج من الحصار على عكس عدوهم الذي أحكم عليهم الطوق، وبالتالي كانت هزيمة ستالينغراد هي النهاية الفعلية لحملة هتلر على الجبهة الروسية، وبداية النهاية للنظام النازي ككل.

فيما يتعلق بالحملة الصليبية الأمريكية نجد أن هذا المبدأ كذلك لم يطبق كما قد تسطره النظرية[2]. فالحرب في أفغانستان لم تضع أوزارها بعد، والقضاء على المجاهدين – بحمد الله – لم يتم، وحكومة قرضاي تذوق العلقم يوميا من أجل فرض سلطتها حتى داخل كابول، والصعوبات الإقليمية التي يثيرها جيران أفغانستان في تصاعد.. كل هذا يحصل وأمريكا تعد العدة لغزو العراق، وما يتبع ذلك من معارك سياسية ودبلوماسية واقتصادية وإعلامية وعسكرية أخرى، وهو ما يجعل عنصر التركيز غائبا تماما عن ذهن

• **فالحرب في أفغانستان لم تضع أوزارها بعد، والقضاء على المجاهدين – بحمد الله – لم يتم، وحكومة قرضاي تذوق العلقم يوميا من أجل فرض سلطتها حتى داخل كابول، والصعوبات الإقليمية التي يثيرها جيران أفغانستان في تصاعد.. كل هذا يحصل وأمريكا تعد العدة لغزو العراق.**

---

1 - Dan Plesch, 'Failure of the 82nd airborne' , *The Guardian* (19/12/2002).

2 – النظرية الأمريكية الحالية تقتضي تركيز القوة لتحطيم العدو نهائيا فتنبه..انظر:

Joint Chiefs of Staff, *1997 National Military Strategy of the United States*, (Washington: GPO, 1997), executive summary.

الإدارة الأمريكية المتجبرة. وهذا من فضل الله عز وجل على المجاهدين، لأن فتح الجبهات سهل.. لكن إغلاقها جد صعب كما تبين ذلك دروس التاريخ.

5 – الأمن

ويقصد به تحصين الخطط والتحركات والعلاقات والنظم الاستراتيجية من كل محاولة لاختراقها أو التدخل فيها من طرف العدو. وهذا المبدأ بديهي إذ كلما عرف جيش نوايا وإمكانات عدوه كلما سهل عليه مجابهته وإيقافه، ولذلك فإن منع العدو من القيام بذلك هو مفتاح أساسي للحرب عند الاستراتيجيين.

من الأمثلة التاريخية على أهمية هذا المبدأ ما حدث لفرنسا سنة 1940 حين حصنت حدودها الغربية مع ألمانيا، و لم تفعل ذلك في حدودها الشمالية خاصة في منطقة Ardennes، التي اعتبرتها القيادات العسكرية منطقة مستحيلة العبور. لكن القيادة الفرنسية لم تتأكد من صحة هذا الافتراض رغم التطور الذي حصل على الأسلحة فيما بين الحربين العالميتين. كان الجيش الألماني على علم بالنوايا الفرنسية، فما لبث أن استغل هذه الهفوة أحسن استغلال.. وسقطت فرنسا تحت الاحتلال الألماني في ظرف قياسي.

نفس الأمر حدث حينما تمكن المجاهدون الأبطال من ضرب العدو الأمريكي في عقر داره و أغلى رموزه، وذلك أن الاستراتيجيين الأمريكيين كانوا يرون استحالة استهداف أمريكا في الداخل، فبين المجاهدون كذب هذه المقالة وعظم تكلفتها.

ليس هذا فحسب فإن الجيش الأمريكي يتعرض ميدانيا في أفغانستان لضربات موجعة بسبب الفشل في القيام بمبدأ الأمن، فالقواعد الأمريكية – بما فيها قاعدة باغرام الحصينة[1] – تتعرض دوما للقصف الصاروخي بل ولهجمات جريئة وضارية، والتحركات الأمريكية الكبيرة يبوح بها المنافقون مقابل ثمن بخس، بينما فشل الجيش الأمريكي في استباق تحركات المجاهدين نظرا للسرية المطلقة والتغيير المستمر في الخطط والوسائل.

الخاتمة

يتبين مما سبق أن التنظيرات الأمريكية للحرب، التي تقبع في جيب كل جندي أمريكي، لا تجد طريقها إلى التطبيق. بل يظهر أن المجاهدين أحق بها من أهلها.. ولعل ذلك مصداق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾. ♦

1 – انظر التقرير الصادر عن *مركز الدراسات والبحوث الإسلامية*، الاثنين 24 ذو القعدة 1423 هـ الموافق 2003/1/27م

آية العدد - دعوة إلى التدبر

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران)

من مشكاة النبوة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ "مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ قَالُوا وَلَا الْجِهَادُ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ" البخاري

من كلام السلف

قال الإمام الشافعي رحمه الله في الحسد:

وداريت كل الناس لكن حاسدي * مداراته عزت وعز منالها

وكيف يدارى المرء حاسد نعمة * إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

هل تعلم ؟

هل تعلم أن أساليب التحقيق خمسة؟

ثالثا: أسلوب الضغط والإكراه ويكون بالأمور التالية:

❀ سجن المعتقل لتقييد الحرية، وربما يكون ذلك في زنزانة فردية للمزيد من الضغط.

❀ عزل المعتقل عن علاقاته ومعارفه لتعميق الإحساس بالوحدة لكي يؤدي ذلك إلى إضعافه.

❀ إذلال المعتقل عن طريق البصاق، وتوجيه الشتائم، ومخاطبته بأسماء الحيوانات، أو حتى مطالبته بسب نفسه وسب دينه ورموزه.

❀ التحكم بسلوك المعتقل بحيث يحدد متى يشرب، ومتى يأكل، متى يتكلم، متى ينام، ...

❀ الإحراج عن طريق توجيه الأسئلة الحساسة التي تخص شرف المعتقل أو عرضه.

❀ الابتزاز عن طريق التهديد بمصادرة الأموال أو التهديد بالتشهير أو بإحضار الزوجة....

❀ التعذيب وهو صور كثيرة من الأذى الجسدي يقصد بها الضغط على المعتقل وإكراهه.

أقوال بدون تعليق

❀ – شجع البيت الأبيض الرئيس العراقي صدام حسين على التنحي عن السلطة والمغادرة إلى المنفى، مؤكدا أن لدى الإدارة الأميركية «جبلا من الأدلة» ضد الرئيس العراقي، ومشددا على أن الوقت المتاح لنافذة الجهود الدبلوماسية بشأن الأزمة العراقية "مسألة أسابيع وليس أشهرا"، فيما حذر السفير العراقي لدى الأمم المتحدة من هجمات ضد المصالح الأميركية «من إندونيسيا إلى الشرق الأوسط».

❀ – تسلم المفتشون الدوليون، الذين يجوبون العراق منذ أكثر من شهرين للتحقق من نزع أسلحته، أول هدية من الجانب العراقي هي عبارة عن صندوق من الويسكي.

من شعر الحماسة

إني أتوق إلى انتصار عقيدة	فيها لأنهار النجاة منابع
قالوا: تروم المستحيل، فقلت بل	وعد من الرحمن حق واقع
والله لو جرف العدو بيوتنا	ورمت بنا خلف المحيط زوابع
لظللت أؤمن أن أمتنا لها	يوم من الأمجاد أبيض ناصع
هذي حقائقنا وليست صورة	وهمية فيها العقول تنازع

عبد الرحمن العشماوي

التهديد الأمريكي
وتجديد سياسة التسول

ابو ايمن الهلالي

في هذا الظرف العصيب/الخطير الذي تمر منه الأمة الإسلامية بسبب تكالب قوى الكفر عليها، من صهيونية وصليبية عالمية وأنظمة عميلة في بلادنا العربية والإسلامية، فضلا عن العلمانيين وبعض المحسوبين على التيار الإسلامي؛ المنفتح/المميع منه والمنغلق/"المتخلف"، مما يستوجب على الأمة بأسرها اليقظة الدائمة، والمرابطة على الثوابت العقدية والسياسية، والفهم الجيد للأهداف على ضوئها، والحساب السياسي الدقيق، والقراءة العميقة والمتأنية لما وراء السطور، والحس المرهف، والحذر الشديد من أي خطوة /لغم سياسية يدعو/يتخذها لها هذا الطرف أو ذاك، لاسيما المرتبطين استراتيجيا ومصيريا بالعدو الصليبي/الأمريكي وبمشاريعه الاستعمارية التوسعية مثل مصر وتركيا والسعودية وسوريا...

لكن، بينما بدأت الأمة تسترجع عافيتها "الإيمانية والسياسية" خصوصا بعد غزوتي نيويورك وواشنطن، وما تلاها من تصريحات وأحداث كالهجوم على طالبان والقاعدة وسائر المجاهدين تحت راية "الصليب"، أي حرب صليبية شاملة على كل المسلمين، حيث وضوح المعركة وتمايز الصفوف، وتفعيل لعقيدة الولاء والبراء من كلا الطرفين؛ أمريكا بزعامة "الأحمق بوش" والحركات الجهادية بزعامة "الإمام العاقل ابن لادن" –حفظه الله–، ... بينما يحدث هذا، دفع العدو بعملائه إلى تجديد "سياسة التسول" – التي انقضى مفعولها – بوجوه جديدة محسوبة على التيار الإسلامي، لعله يفلح من جديد –هذه المرة – في ضياع "بوصلة الأمة" في صراعها العقدي والسياسي والعسكري، وإدخالها في ارتباكات ومتاهات تستنزف طاقتها العقدية والجهادية والنفسية، وتهدر وقتها الثمين فيما لا طائل من ورائه سوى شرذمة الصف الإسلامي وتمكين العدو من استكمال حلقات "مشروعه الصليبي"، الذي يقضي باستعباد الأمة وتركيعها، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

أولا – المبادرة المصرية/حوار القاهرة:

جاءت بهدف سياسي واضح ومحدد وهو وقف "العمليات الاستشهادية" تحت عنوان "الهدنة"، وتهيئة الأجواء المناسبة لاستئناف سلام الشجعان/الجبناء الذي نادى به المناضل/العميل التاريخي عرفات، أي إخراج العدو الصهيوني من الورطة السياسية والأمنية والاستراتيجية، وإعادة المجاهدين والمقاومة إلى "مأزق التسوية" تحت سقف "الحوار الوطني" أو "الوحدة الوطنية" أو "القيادة الموحدة"، أي العودة إلى "أسلو جديد" تحت قيادة "السلطة العميلة".

إن المبادرة المصرية تعتبر تجسيدا عمليا لجوهر المطلب الصهيوني والصليبي، لأنها امتداد "لخطة تنيت" ولمطالب/شروط شارون حول وقف العنف/المقاومة، أي المحافظة على الأهداف الصهيونية والصليبية، وتبادل

الأدوار بـين المخابـرات الأمريكية/جورج تنيت والمخابرات المصرية/عمر سليمان، والسلطة العميلة وحركة حمـاس، لأنه لا جديد في حوار القاهرة سوى تطويع الشعب الفلسطيني بأيادي المجاهدين، كما لا يوجد فرق بـين مـا يقوم به النظام المصري ضد المجاهدين والعدو الصليبي والصهيوني، لأنهم في نهاية المطاف ضد الأمة الإسلامية.



• لكـن الخطـير في المبادرة هو الاجتهاد/العمالة المصري في تحديـد مـدة الهدنـة، بحـيث تجـاوزت مـا كـان يطالـب بـه شـارون، أي مـن أسـبوع ثـم شـهر إلى سـنة، وكذلك الثقة التي وضعتها حماس والجهاد الإسلامي في الآخرين، والـتي لم تكـن في محلها



لكن الخطير في المبادرة هو الاجتهاد/العمالة المصري في تحديد مـدة الهدنة، بحيث تجاوزت ما كان يطالب به شارون، أي من أسـبوع ثم شـهر إلى سنة، وكذلك الثقة التي وضعتها حماس والجهـاد الإسلامي في الآخرين، والتي لم تكن في محلها، مما قد يجعلـها أداة موضـوعية للمشروع الصهيوني عن طريق العميل المصري، والواقع خير شاهد على ذلك.

إن العمليات الاستشهادية هي سلاح المجاهدين الاستراتيجي، وعقـدة العدو الصهيوني، والكابوس المزعج لدوائر القرار في تل أبـيب وواشنطن، والمضاد الحيوي للجرثومة الصهيونية[1]، ونهاية الـدجل السياسـي[2]، وطريقنا إلى تحرير القدس[3]، وإن المستفيد الفعلـي مـن وقفها هو العدو الصليبي والصهيوني وعملائه في منطقتـنا العربية والإسلامية، والخاسر الأكبر هو الأمة الإسلامية والشـعب الفلسطيني، لأنها ساهمت وبشكل فعال في تغيير بنية الحـركة الفلسطينية، حيث أصبحت الشرعية السياسية مرتبطة بالتضـحية والعمليات الاستشهادية، وبالنكاية في العدو، أي في حجـم الخسـائر البشـرية والمادية والنفسية التي تلحقها في صفوفه، والدفاع الجاد والمستميت عن الشعب الفلسـطيني، وأيضـا حمايته، فضلا عن مدرسة حقيقية للأمة الإسلامية بخصوص الجهاد والمقاومة والتحرير، وطـريق كل الشعوب العربية والإسلامية لإسقاط كل مشاريع العدو في منطقتنا وفي مقدمتهم عملائه، وهذا مـن بين الأسرار والدوافع الرئيسية التي جعلت كل الأعداء يتحدون حول إيقافها تحت عناوين مختلفة، لأنها تهديد حقيقي واستراتيجي لهم.

---

1 - راجع مقال الكاتب، العدد الحادي عشر، مجلة الأنصار.

2 - راجع مقال الكاتب، العدد الثاني عشر، مجلة الأنصار.

3 - راجع مقال الكاتب، العدد الثالث والرابع عشر، مجلة الأنصار.

إن العمليات الاستشهادية زرعت الرعب في الكيان الصهيوني، وأثرت في حياته السياسية، وبدأ يشعر لأول مـــرة في تاريخه بقرب نهايته ورحيله بإذن الله سبحانه وتعالى، لأن الأمة أصبحت فاعلة ومتعطشة لدمائه أكثر مـــن أي وقـــت مضى، وأن قوتها واستمرارها مرهون بثباتها وتطورها، وليس بالتراجع/التخاذل وبما يسمى بالتوقيف المرحلي لها، لأن ذلك سيعيدها إلى المربع الأول؛ مربع الاستسلام والذل والهوان والاستضعاف، بينما هـــي الآن في مـــرحلة التوازن الاستراتيجي والسياسي، ومرشحة إلى الانتقال إلى مرحلة التفوق الاستراتيجي والسياسي.

إن حمـــاس والجهاد الإسلامي اتفقت مسبقا – وقبل أن تذهب إلى حوار القاهرة – حول تعليق العمليات الاستشـــهادية داخل الأراضي الفلسطينية، وللمناورة والحفاظ الشكلي على ماء وجه المقاومة أضيف الشرط والمقابـــل، أي عدم اجتياح المناطق السكنية، ووقف سياسة الاغتيالات، وملاحقة الكوادر، وهدم البيوت، مع العلـــم أن العميل المصري لا يملك من الأمر شيء، لأنه يحتاج إلى تدخل أمريكي، مما يطرح أسئلة جادة حول دور حوار القاهرة.

وعليه فإن المبادرة المصرية مرفوضة من عدة وجوه:

أ – الداعي إلى الحوار:

النظام المصري المعروف بعدائه للحركة الإسلامية وللعمليات الجهادية والاستشهادية، ويكفي أن معظم القرارات الخطيرة التي تستهدف المجاهدين أخذت في مصر، الأول في شرم الشيخ يوم 5 ينايـــر/كانون الثاني سنة 1996، حيث اجتمع زعماء العالم من أجل القضاء على المجاهدين خدمة للكيان الصهيوني، والثاني يوم 11 مايـــو 2002 في قمة تجمع كل من مصر والسعودية وسوريا لإدانـــة العملـــيات الاستشهادية، وما يعقب ذلك من سياسات وممارســـات خدمة أيضا للعدو، فضلا عن اللقاءات الأمنية بين العدو الصهيوني والسلطة الفلسطينية العميلة.

إن مصـــر ليســـت ســـوى أداة طيعة بيد العدو، فهي دائما مســـتعدة لتنفيذ أوامره عندما يعجز، مقابل رشاوى أو تخفيف الضـــغط...، ولا نـــدري كـــم قبض النظام المصري هذه المرة باحتضانه لحوار القاهرة.

• ويكفي أن معظم القرارات الخطـيرة الـتي تسـتهدف المجاهـدين أخـذت في مصـر، الأول في شـرم الشـيخ يـوم 5 يناير/كانون الثاني سنة 1996، حيث اجتمع زعماء العالم من أجل القضاء على المجاهـدين خدمـة للكيان الصـهيوني، والثانـي يوم 11 مايو 2002 في قمـة تجمـع كـل مـن مصـر والسـعودية وسـوريا لإدانـة العمليات الاستشهادية.



وعليه، فإنها غير مؤهلة لاحتضان الحوار إن سلمنا تجاوزا بضرورته، لأنها طرف مشبوه يفتقد النزاهة والموضوعية والاستقلالية، وتاريخ خيانتها مشهود به بدءا من كامب ديفيد إلى محاربتها العلنية للمسلمين المتشدد منهم والمعتدل على حد تعبير الأعداء والإعلام العربي المنافق.

ب – موضوع الحوار والغرض منه:

إن موضوع الحوار كان واضحا وهو إيقاف العمليات الاستشهادية لمدة سنة كعربون عملي على حسن النية والجدية في الاستسلام لأوامر العدو الصهيوني، ليتكرم هذا الأخير بالجلوس إلى طاولة المفاوضات، واستئناف الاتفاقات الأمنية لمحاصرة المجاهدين والقضاء عليهم، فضلا عن تعبيد الطريق للهجوم الأمريكي على العراق مخافة اختلاط الأوراق، لأن العدو مازال مترددا في خيار الحرب لأن الأجواء الراهنة ليست في صالحه، رغم تهديداته المتكررة في وسائل الإعلام.

لذا فإن قرار حماس والجهاد الإسلامي بخصوص الهدنة المؤقتة معطى أساسي في خيار الحرب، ولذلك أوكلت المهمة للعميل المصري للمشاركة في تقتيل الشعب العراقي كما وقع في الحرب الخليج الثانية.

• إن موضوع الحوار والهدف منه لا ينسجم مع سياسة الجهاد والمقاومة التي تنهجها حماس والجهاد الإسلامي، ويناقض توجههما الإستراتيجي، فضلا على أن رأسها هو المطلوب، لذا فلا نرى مبررا لمثل ذلك الحوار.

وعليه، فإن موضوع الحوار والهدف منه لا ينسجم مع سياسة الجهاد والمقاومة التي تنهجها حماس والجهاد الإسلامي، ويناقض توجههما الاستراتيجي، فضلا على أن رأسها هو المطلوب، لذا فلا نرى مبررا لمثل ذلك الحوار.

ج – المشرف على الحوار:

هو عمر سليمان مدير المخابرات المصرية، وهذا يعني عمليا أن الهدف أمني بدرجة أساسية، أي سيطرة الأمني على السياسي وتطويع له، مما يجعل دور مصر مكشوفا ولا يحتاج إلى تأويلات.

وبالمناسبة نذكر حماس والجهاد الإسلامي بتحفظاتهم الماضية حول اللقاءات التي كانت تجريها السلطة العميلة مع تنيت وغيره، وكذلك عمر سليمان عندما كان يقوم بجولاته المكوكية في كل من الكيان الصهيوني والسلطة العميلة، لذا لا يعقل وفي كل القواميس السياسية أن يحكم الأمني السياسي، لأن لكل مجاله وتخصصه.

د – المستفيد من الحوار:

هــو العدو الصهيوني والأمريكي، وكذلك العميل المصري لأنها صفقة مربحة له، والتي لم يكن يحلم بها لأنه عبرها يحقق هدفين أساسيين:

– الحصــول علــى الرضى والرشاوى الأمريكية، وأنه مازال يقوم بدوره في التمكين للمشروع الصهيوني والصليبي، أي رقم لا يمكن الاستغناء عنه.

– اكتساب الشرعية السياسية التي يفتقدها من خلال مكياج حماس والجهاد الإسلامي.

ثانيا- المبادرة التركية/اجتماع استانبول:

التي ضمت وزراء الخارجية لستة دول، خمسة منها تملك حدودا مع العراق، وهي تركيا وإيران والسعودية والأردن وسوريا، بالإضافة إلى مصر نظرا لاعتبارات عربية وإقليمية ودولية، والتي تهدف بالأساس- وكما جاء في وســائل الإعــلام- إلى إيقاف الحرب عبر استقالة صدام وتنحيه عن الحكم، والخروج سالما صحبة عائلته وأركان حكمه.

إن الحاكم الحقيقي في تركيا هو العسكر، الذي يعتبر حليفا اســتراتيجيا للعدو الصهيوني والأمريكي، وأما حزب العدالة والتنمية الذي يتزعم الحكومة والمبادرة فإنه لا يملك من الأمر شــيئا، سوى التضليل وتهيئة الأمة للركوع للعدو من خلال التــرويج للاستسلام، واختزال قضية العراق وهدف العدو في شخص صدام وحاشيته.

إن الأمر خطير وأكبر بكثير مما يتصوره المنهزمون، لأنه لو افترضــنا جــدلا تنحي صدام عن الحكم وفقا لرغبة أمريكا واتفاق استانبول فمن يخلفه إذن؟ أليست أمريكا وعملاؤها؟ لكــن بالمجان ودون خسائر بشرية ومادية، فضلا عن ضياع شــرارة الجهــاد التي ستنطلق في العراق والدول المجاورة، التي ستشكل تهديدا جديا لتواجده.

إن مــبادرة تركيا تسعى لإخضاع الأمة عمليا لتهديدات العدو، ودفعها إلى التسليم بغزوه، واستقباله بالورود والزغاريد كمحــرر لهــا مــن صــدام، ولــيس بالعمليات الجهادية

• إن الحــاكم الحقيقــي في تركيا هو العسكر، الذي يعتبر حلــيفا اســتراتيجيا للعــدو الصهيوني والأمريكي، وأما حزب العدالــة والتنمــية الــذي يتــزعم الحكومة والمبادرة فإنه لا يملك مــن الأمــر شيئا، ســوى التضــليل وتهيئة الأمة للركوع للعدو من خلال الترويج للاستسلام، واختزال قضية العراق وهدف العدو في شخص صدام وحاشيته.

والاستشهادية التي تجعله يراجع حساباته.

وعليه، فإن دور حزب العدالة والتنمية بالنسبة لأمريكا يشبه دور النظام المصري بالنسبة لآل صهيون، لأنهما يصبان في اتجاه استسلام الأمة عبر سعيهما الحثيث لإيقاف الجهاد والمقاومة، وتدجين الأمة وتطويعها، وتقديمها في نهاية المطاف في طبق من ذهب للعدو مقابل مصالح شخصية ضيقة.

ثالثا - المبادرات الأخرى:

التي يمكن تلخيصها في:

أ – استسلام النظام العراقي:

لكل الشروط التي وضعها العدو بخصوص مسألة المفتشين، وتعهده بتسهيل عملهم إلى حد الإعلان المشترك الذي صدر عن العراق والأمم المتحدة في ختام زيارة استغرقت يومين لبليكس والبرادعي الذي يضم عشر نقاط، أبرزها السماح للمفتشين الدوليين باستجواب العلماء العراقيين بحرية تامة خارج البلاد، وتفتيش الأماكن الخاصة.

لكن رغم ذلك، فإن جواب كولن باول كان واضحا وحاسما، بحيث قلل من أهميته، وقال متوجها إلى الصحافيين في ختام اجتماع لمجلس الأمن حول مكافحة ما يسمى الإرهاب: "أن العراق لا يتجاوب إلا تحت الضغوط والأمم المتحدة لا يمكنها أن تقف عاجزة أمام رفض التعاون من جانب بغداد"، وبالموازاة يجري على الأرض الاستعداد المستمر للحرب عبر إرسال المزيد من العتاد والعديد من الأمريكيين والبريطانيين.

إن النظام العراقي عوض الصمود فضل الاستسلام، وذلك بالسماح للعدو باستعماره أمنيا واقتصاديا وسياسيا، إذن فماذا تبقى له؟ شخصه ومصالحه؟ أيوجد نظام يجرؤ على ما قام به؟ وهل مازال يحتفظ بشيء من ماء الوجه؟ لكن المؤسف أنه مازال البعض يصور خضوعه وكأنه إحراج لأمريكا.

• إن النظام العراقي عوض الصمود فضل الاستسلام، وذلك بالسماح للعدو باستعماره أمنيا واقتصاديا وسياسيا، إذن فماذا تبقى له؟ شخصه ومصالحه؟ أيوجد نظام يجرؤ على ما قام به؟ وهل مازال يحتفظ بشيء من ماء الوجه؟ لكن المؤسف أنه مازال البعض يصور خضوعه وكأنه إحراج لأمريكا.



ب – المراهنة على الاتحاد الأوروبي:

وبشكل خاص على فرنسا وروسيا، حيث يستدلون بالقرار الذي اتخذه الاتحاد يوم الاثنين 2003/01/27 في بروكسل، الذي يقضي بمبدأ مواصلة عمليات التفتيش للأمم المتحدة بدون تحديد مهلة التمديد التي قد تمنح لبغداد، وبموقفهم من تقرير بليكس، وإشادتهم بالتعاون العراقي في الجانب العملياتي بفتح كافة المواقع للتفتيش.

لكن مازال بعض المثقفين والسياسيين يروجون لهذا الأمر وكأنه إنجاز عظيم، فهم بدل أن يُدينوا العملية برمتها لأنها تمس باستقلال وحرية الشعب العراقي وكرامته، وأن ذلك لم يقع مثله في تاريخنا المعاصر، يصفقون للاستعمار، إنها الوقاحة ودعوة مباشرة إلى الارتماء في أحضان الأعداء، لأنه ما الفرق بين روسيا وأمريكا؟ وأيضا فرنسا؟.

ج – المراهنة على المظاهرات:

وذلك بالترويج لبعض المظاهرات التي عمت بعض العواصم العربية والغربية، التي تطالب بوقف الحرب على العراق، وبضرورة إيجاد حلول عادلة للقضايا العربية، مع العلم أن هذه المسيرات لا تنطلق بشكل عفوي ومستقل، بل هي دائما خاضعة للترخيص الأمريكي عبر الأنظمة العميلة، مادامت محدودة المكان والزمان، ولم تتجاوز الصراخ المبرمج الذي لا يرفع إلاّ شعارات الاستجداء.

إن مثل هذه المظاهرات لن تغير من مواقف العدو وخططه مادامت تعتمد سياسة التسول، لأنها تعبر عن ضعف النخب الثقافية والسياسية وتخاذلها، واختيارها للطريق السهل الذي يعفيها من وخز الضمير، ويبرر تقاعسها، لأن نظامها لا يفهم تلك اللغة فضلا عن الأعداء.

رابعا – الخاتمة:

إن الجديد هذه المرة هو الاستعانة بالإسلاميين كوجه جديد من أجل إخضاع المنطقة لمخططات الأعداء، لأنهم بمثابة كاسحات للألغام تؤدي دورها وتنتهي كما وقع للعلمانيين والمرتزقة، بحيث تجرعت الأمة الويلات من سياستهم، مما جعل مصر ترتكز في الحوار على حماس، وأمريكا على حزب العدالة والتنمية التركي.

وعليه، فإننا نحذر المجاهدين من أكل طعم/سم القاهرة أو استانبول، لأنه عوض تحريض الأمة وتعبئتها، وإعدادها للمعارك الفاصلة مع العدو الصليبي والصهيوني، يتم ترويضها لتطويعها وتقديمها في النهاية قربانا للأعداء.

إنها مأساة ما بعدها مأساة، ألم يحن الوقت للاستفادة من التاريخ؟ ألا نريد أن نحفظ الدرس؟. ♦

وقفات تربوية مع سورة الكهف

- 1 -

تمهيد

أبو سعد العاملي

إن الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضـــل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد

تقديم:

ســـورة الكهف من أكبر السور التي تكاد تمتلئ بالقصص، فأغلب آياتها تغطي قصصاً رائعة تكاد تكون من أحسن ما ورد في كتاب الله. "ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ومعظم ما تبقى من الآيات هو تعليق أو تعقيب على هذه القصص"[1].

وبما أن السورة تعتبر مكية المكان والزمان، فهي تركز على مواضيع العقيدة – كما هي طبيعة القرآن المكي – خاصة موضوع التوحيد وتصحيح المفاهيم الجاهلية حول أهم وأكبر المسائل التي تتعلق بحياة الفرد المسلم.

وما دمنا نتواجد في وضع شبيه بوضع بداية الرسالة، حيث انغمس الناس في الجاهلية من جديد، وارتد عدد مـــن المســـلمين ونسوا دينهم واتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله، ومن بقي من المسلمين منتمياً أو مدّعياً لهذا الانـــتماء، فإنـــك تراه منغمساً في البدع، أو منحرفاً عن النهج القويم، بعيداً عن المفاهيم الصحيحة لهذا الدين العظيم.. من أجل كل هذا وغيره، نحن في أمس الحاجة للوقوف على القصص القرآني، نستقي منه ما ينفعنا في عملية الرجوع إلى الله أولاً، ثم في عملية التعرف على ديننا من جديد ثانياً، ثم في عملية التربية والإعداد للعمل بهذا الدين ونشره واستعماله سلاحاً لمواجهة الأعداء ثالثاً.

1 - في ظلال القرآن ص 2256

تلـــك هي أهداف القصة في القرآن الكريم، تربية وتذكير، تربية للنفوس وتأكيد على صدقية هذه الرسالة العظيمة وعلى صدقية هذا الرسول الكريم، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[يوسف 111].

"فأما تصحيح العقيدة فيقرره بدؤها وختامها.

في البدء: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً، قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ، وَيُبَشِّـــرَ الْمُؤْمِـــنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾

وفي الخـــتام: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث.

> • هكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث.

ويلمس سياق السورة هذا الموضوع مرات كثيرة في صور شتى:

ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾، وفي التعقيب عليها: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾.

وفي قصـــة الجنـــتين يقـــول الرجل المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾

وفي التعقيب عليها: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً، هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً﴾.

وفي مشـــهد من مشاهد القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

وفي التعقيب على مشهد آخر: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِيَ مِنَ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾.

أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به من علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله.

ففي مطلع السورة: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ﴾

والفتية أصحاب الكهف يقولون: ﴿هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً، لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.

وعندما يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف يكلون علمها لله: ﴿قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجماً بالغيب: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾

وفي قصة موسى مع العبد الصالح عندما يكشف له عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى حيث يقول ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فيكل الأمر فيها لله.

فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار.

فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وزوال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

وحمى الله أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق. والفتية المؤمنون أصحاب الكهف يقولون بعد اعتزالهم لقومهم: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾.

• فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار.

والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ ليصبر نفسه مع أهل الإيمان، غير مبال بزينة الحياة الدنيا وأهلها الغافلين عن الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وقصــة الجنتين تصور كيف يعتز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة.. وكيف يجبه صاحبها المنتفش المنـتفخ بالحق، ويؤنبه على نسيان الله ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَـةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾.

وعقب القصة يضرب مثلاً للحياة الدنيا وسرعة زوالها بعه ازدهارها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

ويعقــب عليه ببيان للقيم الزائلة والقيم الباقية: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

وذو القــرنين لا يذكر لأنه ملك، ولكن يُذكر لأعماله الصــالحة. وحــين يعــرض عليه القوم الذين وجدهم بين الســدين أن يبني لهم سداً يحميهم من يأجوج ومأجوج في مقابل أن يعطوه مالاً، فإنه يرد عليهم ما عرضوه من المال، لأن تمكين الله له خير من أموالهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْــرٌ﴾. وحــين يــتم السد يرد الأمر لله لا لقوته وعلمه البشــري: ﴿قَــالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾."[1]

ســنحاول أن نسجل بعض الوقفات التربوية على هذه السورة، ونحن أحوج ما نكون إليها، خاصة في هذه الفترة التي تعيشها الأمة، التي تتميز بتكالب الأعداء علينا من كل جانــب، والتي تتطلب منا - معشر المسلمين بعامة، ومعشر الشباب بخاصة - أن نعود إلى كتاب الله تعالى، نستقي منه ما يلزمنا من سلاح التقوى، ومن سلاح تصحيح العقيدة،

• سنحاول أن نسجل بعض الوقفات التربوية على هذه السورة، ونحن أحوج ما نكون إليها، خاصة في هذه الفترة التي تعيشها الأمة، التي تتميز بتكالب الأعداء علينا من كل جانب، والتي تتطلب منا – معشر المسلمين بعامة، ومعشر الشباب بخاصة – أن نعود إلى كتاب الله تعالى، نستقي منه ما يلزمنا من سلاح التقوى، ومن سلاح تصحيح العقيدة، ومن سلاح الاقتداء بمن مضى من الصالحين والسلف الصالح في مواجهة الباطل.

1- في ظلال القرآن: 2257.

ومن سلاح الاقتداء بمن مضى من الصالحين والسلف الصالح في مواجهة الباطل.

ولاشك أن الباطل هو هو لم يتغير في جوهره، ولن يتغير سوى في الوسائل التي يستعملها ضدنا.

جدية الرسالة وقوتها:

تبدأ السورة ببيان جدية هذه الدعوة واستقامتها ونصاعتها، وبأنها من عند الله لا عوج فيها ولا تميع، كما تبين مهمة النبي ﷺ ومهمة أتباعه من بعده، وهي الإنذار والتبشير، إنذار الكافرين والمعرضين عن الحق، وتبشير المؤمنين والتابعين للحق، فهذا هو محتوى كل الدعوات إلى الله عز وجل من لدن آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾.

وهي تأكيد على شناعة جريمة تشويه الرسالة والاعتماد في ذلك على الجهل والظن والكذب، وهي أساليب يلجأ إليها أهل الباطل حينما يعجزون عن مواجهة أهل الحق بالحجة والبيان- وهم دائماً عاجزون -، وهو أيضاً أسلوب الضعفاء والجبناء، أسلوب الالتواء والتحريف في مواجهة نصاعة الحق واستقامته وقوته.

ثم ينتقل السياق القرآني بعد ذلك إلى تطمين رسول الله ﷺ ومواساته بسبب إعراض القوم عن دعوته، وهو الذي يكاد يذهب نفسه هماً وكمداً على هذا الإعراض والتكذيب، وكم ذا يحز في نفوس الدعاة أن يروا هروب الناس وإعراضهم من دعوتهم في الوقت الذي يسعون إلى إنقاذهم وهدايتهم، ويرون رفض الناس الخروج من الظلمات إلى النور الذي يدعونهم إليه، ويرون إيثار القوم ملذات الدنيا الفانية وشهواتها الزائلة على ما عند الله من أجر وثواب في الآخرة وراحة بال وطمأنينة في الدنيا، فكل هذا وغيره يؤثر في نفوس الدعاة ويملأ قلوبهم حزناً وأسى ويتمنون لو كل الناس آمنت واتبعت الحق والهدى.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

فهذه الدنيا وما فيها من زخرف ومتاع وأموال وأولاد، جعلها الله اختباراً وامتحاناً لأهلها، ﴿لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، فيلاقوا جزاءهم العادل والأوفى يوم القيامة، أما في الدنيا فكل شيء إلى زوال مهما امتلك الإنسان ومهما علا وتجبر ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

ذلك ما سنفصله في المقالات القادمة بحول الله تعالى، نسأله سبحانه أن يوفقنا ويلهمنا لخير الأعمال والأقوال، ويرينا عيوبنا ونقائصنا لنقومها ونصححها، فننصر ديننا ونحيي سنة نبينا، والحمد لله رب العالمين. ♦